

وعراقة النظام الملكي معقولة طبيعية في بلاد كالبلاد المصرية تحتاج إلى نظام واحد في الرأي ونظام واحد في الحكومة ، ويد واحدة تشرف على سقيها وتدير مدينتها ؛ ويساعد على استقرار « النظام » فيها أن أمورها كلها مستقرة تجري على مثال واحد قليل التنوير والتبديل .

قال الأستاذ ألفرد فيدمان الألماني في كتابه (ديانة قدماء المصريين) : « إن الهيمنة على جداول الأرض كانت بطبيعتها أقرب إلى التركيز والتوحيد من سائر المرافق الأخرى . إذ لا يتأتى تنظيم الري في مصر على نحو مضمون مكفول بغير هيمنة واحدة تمتع الأفراد أن يجوروا على المصلحة القومية في سبيل المنافع الفردية »

وتناول الأستاذ البيوت سميت هذا الرأي نشرحه وفصله في كتابه « التاريخ الانساني » وأيد فيه ما سبقه إليه العالم الألماني من تحليل عبادة الملوك في مصر القديمة ، إذ كان السالك عندهم لزمام النيل ومقادير الماء مالكا في ظنهم لمصادر الحياة ، خليقا أن يحاط بمظاهره من التعظيم ومناسك من التقديس لا يجاط بها الانسان ، ولا تكون لغير الأرباب .

ويذكر هذا الرأي أن « ميتا » رأس الملوك الذين وحدوا البلاد وجمعوا بين حكم الوجهين إنما كان في معظم أعماله مهندسا يسوس الماء ويدري من ثم كيف يسوس البلاد ، وإليه ينسب المؤرخون الأولون تحويل مجرى النيل وإقامة السدود في أقاليم منف والفيوم .

ثم جاء عهد الحضارة العربية وهي الحضارة الثانية التي بقي لها بعد الحضارة الفرعونية أخلد الآثار في تكوين الشعار وتقرير نظام الحكومة بين المصريين .

والفرق بين مظاهر الملك فيها ومظاهر الملك في الحضارة الفرعونية هو الفرق بين حاكم يقول : إنه « عبد الله » وحاكم يقول ويقال له : إنه هو الآلهة وسيد الخلق والأمر . ويأبى الخير من الأرض والسماء .

فليس للملك العربي « تاج » ولا يجب التوك بالبرب أن يتشبهوا بالأعاجم في هذه المراسم . مدح عبد الله بن قيس الخليفة

تاج منصر

من ميسنات إلى فاروق

مؤلف: الأستاذ عباس محمد العقاد

اسم الملك في مصر القديمة دليل على عراقة النظام الملكي فيها ، لأنه دليل الرسوخ والتوطد والعمران المستفيض على حين يعرف الملك في البلدان الأخرى بأسماء قرية من البداوة أو من حالة البداية الفطرية .

فالملك في اللغات اللاتينية (Rex) مأخوذ من كلمة الراجا الهندية وهي في الأصل بمعنى الربان .

والملك في اللغات السكسونية (King) مأخوذ من كلمة جيناكا (Jan aka) الهندية وهي بمعنى الوالد ، ولعلها كما يرى بعض الباحثين في اللغات القديمة قرية من كلمة الخان وما إليها .

والملك في العربية وأخواتها بمعنى الاستيلاء ، والامارة بمعنى الأمر ، وكلاهما يتحقق لأصغر الحاكمين ولو كانوا من رؤساء العشائر ، لأن المرجع فيهما إلى الرأسة حيثما كان رئيس ومروءسون .

أما « بارو » أو فرعون كما نعرفها الآن فمعناها « الباب الكبير » أو « الباب العالي » وهو الاسم الذي كان المصريون الأقدمون يعرفون به ملك البلاد ، وتسمية الملك به دليل على « تطور » الحكم عندهم من حالة الأبوة أو الزعامة البدائية أو الرأسة المستمدة من أواصر القرابة إلى حالة السياسة وتدير العمران وقيام الدواوين ومراسم السلطان .

كذلك كان المصريون يعرفون التيجان ومعانيها السياسية إذ كان غيرهم لا يتجاوزون عهد العصاة أو عهد الأكليسل من النسيج والزهر ، ثم من المعادن والجواهر ، فكان لملك الوجه البحري تاجه وشعاره ، وكان لملك الوجه القبلي تاجه وشعاره ، ثم اتحد الوجهان فاتخذ الشعاران ؛ وظل الملوك حينما يلبسون هذا أو يلبسون ذلك للدلالة على الحقوق السياسية التي تناط بكل تاج وكل شعار .

يريدونه والياً عليكم ؟ فقالوا بصوت واحد : إننا لا نرضى إلا بك لما تتوسم فيك من العدالة . قال بعد تردد : إنني لا أستحق هذا المنصب وقد يكون في التعيين مساس بحجى السلطان . فعاد العلماء والقباء يقولون : إن العبرة برضى أهل البلاد وقد أجمنا على اختيارك .

فقبل محمد على وألبسه السيد عمر مكرم والشيخ الشرفاوى الكرك والقفطان وهما خلع الولاية . ولم يمض على ذلك شهران حتى جاء فرمان من قبل السلطان بأقراره في منصبه وتعزيز ما اختاره الشعب لنفسه ، فكانت هذه هي بيعة الشعب المصرى ل محمد على الكبير ولأسرته من بعده

وكانت النهضة المصرية وشاء الله لمصر أن تكون ولاية مليكها المحبوب « فاروق الأول » فتحاً جديداً في تاريخها لا مثيل له في جميع هاتيك العصور ، وقدوة للاحقين جمعت كل حسن سائغ من الماضى وتزهت عن كل ما يابأه المليك ويأباه رعاياه :

إستقلال الفراعنة بغير شوائب الوثنية ، بملك العرب بغير رعاية أجنبية ، واختيار الشعب بغير الولاية العثمانية . وقد كانت الدولة البريطانية ترغم لنفسها المزاعم في إبان الحرب العظمى ، فبطلت هذه المزاعم وقام الملك الفاروق بالأمر بيننا أول ملك خلص لمصر عرشه وخلص له حبها واختيارها . فلا نظير لهذا الملك في عهد الفراعنة ولا في عهد العرب ولا في دولة العثمانيين ولا في دولة الانجليز . وهنياً لمصر هذه البداية ، وهنياً للفاروق هذه المزية ، وهنياً للمستقبل ما يرجى له من طوابع هذا الفأل الحسن وهذا البشير السعيد

وإن من الخير لمصر أن يكون تاجها هو التاج الذى اختاره الله للمليك الفاروق الفارق بين جيلين وعصرين : تاج محسوس بالقلوب مثاله هو شخص المليك المحبوب ، ورمز تراه الأفكار قبل أن تراه الأبصار ، وطلعة كما قال عبد الله ابن قيس :

... شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزه ليس فيه جبروت وليس فيه رياء
عباس محمد العقاد

عبد الملك بن مروان بقصيدة من جيد شعره يقول فيها .
إن الأغر الذى أبوه أبو العاصى عليه الرقار والحجب
خليقة الله فوق منبره جفت بذاك الأقلام والكتب
يمتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ! تمدحنى بالتاج كأتى من العجم وتقول فى مصعب (ابن الزبير) :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزه ليس فيه جبروت وليس فيه رياء
أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً . . . هذا وعبد الملك بن مروان كان من ملوك العرب الذين أكثروا من اقتباس الأزياء والشارات الفارسية ، إلا مبراسم التيجان التى بغضتها إليه النعمة العربية كما بغضتها إليه موجده على ابن الزبير ومن مدحوه وجنحوا إليه !

وأيا كان سر الإنكار فى نفس عبد الملك فقد ظل الملوك المسلمون يؤثرون العمامة على التاج ويتخذون آثار النبى عليه السلام - ومنها البردة والخاتم - شعاراً للخلافة أعز عندهم وعند الرعية من كل شعار .

ثم جاء خلفاء الترك فاختاروا العمامة على التزين والترصيع ، حتى لبسوا الطربوش وميزوه على سائر الطرايش بحلمة من حلى التجميل ، كراهة منهم أن يتخذوا التاج ويتشبهوا بالملوك الأوربيين أما ملوك مصر فقد لبثوا يتخذون الآثار النبوية شعاراً للخلافة حتى زالت عنهم هذه الآثار فعوضوها بما يشبهها ، ثم جروا على سنة الولاة العثمانيين حين دخلت مصر فى حوزة الدولة العثمانية .

ثم قامت الأسرة العلوية على أساس الانتخاب والتولية فى وقت واحد : فقد أساء الرأى العثمانى الحكم فاجتمع العلماء والقباء بدار المحكمة واستقر رأيهم على اختيار محمد على الكبير والياً عليهم وإبلاغه ذلك والكتابة إلى الآستانة فى هذا المعنى . وانتقلوا إلى دار محمد على باشا هاتفين : إننا لا نريد هذا الباشا - يعنون خورشيد باشا - والياً علينا . وقال السيد عمر مكرم : « إننا خلعناه من الولاية » . . . فقال محمد على باشا : ومن